سيرة حياة آليستر كراولي



اعداد وتقديم:
محيي الدين إبراهيم

سيرة حياة ساحر القرن العشرين

آليستر كراولي

اعداد وتقديم:
محيي الدين إبراهيم

عناوين الفصول

1. **البدايات في بيت الإيمان: طفولة بين القداسة والتمرّد** :نشأته في بيئة متدينة متشددة ضمن جماعة "إخوان بليموث"، وتأثير وفاة والده المبكر على تحوله النفسي والروحي.
2. **من كامبريدج إلى الفجر الذهبي: ميلاد الساحر المتمرّد**
دراسته الجامعية، ميوله الشعرية، اتصاله بالفجر الذهبيGolden Dawn ، وبدايات انغماسه في السحر.
3. **رحلات على قمم الجبال: المتسلق الذي أراد لمس السماء**)هوسه بتسلق الجبال، مغامراته في جبال الألب والهيمالايا، ورؤيته للجبل كرمز صوفي.
4. **كتاب القانون: لحظة الوحي في القاهرة**
قصة الملاك أيواس وكتابة *The Book of the Law*، تأسيس عقيدة ثيليما، وانطلاق مشروعه الروحي.
5. **الحروب مع السحرة: من ماذرز إلى المعابد السوداء**
صراعاته مع قادة الفجر الذهبي، وبناء معابده الخاصة، وتجارب الاستحضار السحري.
6. **الحياة بين الشعر والإباحية: القلم كأداة للسحر**)إنتاجه الأدبي بين الشعر والفلسفة والنصوص الإباحية، وكيف ربط الأدب بالسحر.
7. **دير ثيليما في صقلية: التجربة الكبرى والفشل المرير**
)تأسيس ديره الشهير في سيفالو، طقوسه المثيرة للجدل، الصراعات مع السلطات الإيطالية، ونفيه.
8. **السفر في الصحراء والرؤى الإينوخية: رحلة عبر أبواب الغيب**)تجاربه مع الرؤى الإينوخية في الصحراء، الشراكة مع فيكتور نيوبورج، واستحضار كيان "كورونزون."
9. **الساحر في زمن الحروب: السياسة والجدل والمخدرات**
حياته خلال الحربين العالميتين، علاقاته الغامضة مع المخابرات، إدمانه على الهيروين، وصورته في الإعلام.
10. **النهاية في هاستينغز: موت الوحش 666 وولادة الأسطورة**
سنواته الأخيرة في عزلة وفقر، إرثه الفكري والسحري، وتأثيره على الثقافة الحديثة من موسيقى الروك إلى الفلسفة.

مقدمة:

السحر: الشغف الأزلي والسلطة الخفية:

منذ فجر التاريخ، كان الإنسان مسحورًا بفكرة السيطرة على المجهول. لقد واجه الطبيعة كقوة غامضة، فرأى في الرعد صوتًا لإله غاضب، وفي النار معجزة لا تُفسَّر، وفي الكواكب نجومًا تحمل مصيره. ومن هذا الشغف الأزلي ولِد السحر، أول محاولة للإنسان أن يمد يده إلى ما وراء حدود عقله وحسه، ليحاور القوى التي لا تُرى.

أول السحرة الذين حفظ التاريخ أسماءهم كانوا **المجوس**، كهنة بلاد فارس القديمة. كانوا فلكيين، كيميائيين، وعلماء رموز، لكنهم في نظر الناس كانوا قبل كل شيء سحرة. ومن اسمهم – *ماجوس* – خرجت الكلمة اللاتينية *Magia*، التي ستصير لاحقًا أصل كلمة **Magic** في اللغات الأوروبية الحديثة. هكذا نجد أن "السحر" لم يكن فرعًا هامشيًا من الثقافة، بل هو الأصل الذي اشتقت منه لغتنا لفهم الغيب والسيطرة على المجهول.

على مدى العصور، شكّل السحر سلطة موازية، بل أحيانًا أقوى من سلطة الدين. فالكهنة كانوا يحتاجون إلى النصوص والطقوس، لكن الساحر كان يُخاطب القوى مباشرة، بجرأة لا تعترف بوسيط. في حضارات مصر وبلاد الرافدين والهند، كان السحر جزءًا من نسيج الحياة اليومية، يمتزج بالدين والسياسة معًا. وحتى في العصور التي طاردت السحرة وحكمت عليهم

بالهلاك – كما فعلت محاكم التفتيش في أوروبا – لم يكن ذلك إلا اعترافًا خفيًا بخطورة سلطتهم، وقدرتهم على سحر الجماهير.

هذه السلطة الخفية لم تنقرض، بل استمرت حتى عصرنا الحالي، في أشكال متعددة: من التصوف الباطني إلى علوم التنجيم، من الحيل البصرية إلى الطقوس الحديثة التي تستحضر الغموض. ولعل ما يدهشنا أن كل عصر يكاد يُعرَف بساحره: شخصية تستحوذ على المخيلة العامة، تجمع بين الإعجاب والخوف، وتُصبح رمزًا لغموض ذلك الزمن.

ومن بين هؤلاء، يبرز اسم **أليستر كراولي** (1875–1947). شاعر، مغامر، متسلق جبال، لكنه قبل كل شيء ساحر أثار عصره بأفعاله الغامضة وادعاءاته النبوية، حتى وصفته الصحافة بـ"أشرس رجل في العالم" و"الوحش 666". لم يكن مجرد شخص يمارس طقوسًا خفية، بل أيقونة حية للصراع بين المقدس والمدنس، بين السلطة التقليدية وسلطة الغموض. وما زالت سيرته – حتى اليوم – موضوعًا للتحليل والنقد، لأنها تكشف لنا أن شغف الإنسانية بالسحر لم ينطفئ، بل يواصل إشعال مخيلتنا جيلاً بعد جيل.

الفصل الأول

البدايات في بيت الإيمان

وُلد إدوارد ألكسندر كراولي – الذي سيُعرف لاحقًا باسم أليستر كراولي – في الثاني عشر من أكتوبر عام 1875 في بلدة ليمينغتون بمقاطعة وارويكشاير الإنجليزية. جاء ميلاده في بيتٍ غارق حتى النخاع في التدين الطهراني، فقد كان والده، إدوارد كراولي، رجلًا ورعًا من جماعة إخوان بليموث، وهي طائفة بروتستانتية متشددة تؤمن بأن الكتاب المقدس هو الكلمة الحرفية غير القابلة للنقاش للروح القدس، وترى نفسها المسيحية الحقيقية الوحيدة وسط بحر من "الوثنية والانحراف". أما أمه إميلي بيرثا بيشوب، فكانت امرأة متدينة إلى حد التعصب، مقموعة بالواجبات الدينية حتى حدود القسوة، وقد أورثت ابنها مزيجًا من الرهبة والرفض معًا. في طفولته الأولى، عاش الصبي بين صلوات لا تنقطع، وأناشيد تقرأ في البيت كما لو كان كنيسة صغيرة، وقراءات يومية من الكتاب المقدس يشارك فيها الأب والخدم وحتى الأطفال. بدا الجو العام أشبه بمسرحٍ دائم من الطاعة والخضوع والانتظار المشدود لمجيء المسيح الثاني. لم يكن ثمة مجال للطفولة كما نعرفها اليوم؛ كان الدين هو اللغة الوحيدة، والعقيدة هي الهواء الذي يتنفسه الجميع. في تلك البيئة انغرست في عقل الطفل صورة صارمة للعالم: إما قديس أو شيطان، إما نعمة أو لعنة. لكن الأقدار سرعان ما وضعت أول بذرة التمرد في داخله. فقد توفي والده، الذي كان قد بلغ منتصف العمر، حين كان أليستر في الحادية عشرة فقط. كانت صدمة مبكرة، هزّت وجدانه، وأطلقت داخله صراعًا حادًا بين الإرث الروحي

الصارم الذي تركه الأب، والرغبة الفطرية في الانعتاق. فبدلًا من أن يزداد تعلقه بالسماء كما أرادت عائلته، انجذب الصبي – على نحو غامض – نحو أعداء السماء، نحو الشيطان نفسه. لقد وصف لاحقًا تلك المرحلة بأنه شعر فجأة بميول غير مفسرة نحو "الوحش 666" والمرأة القرمزية التي يتحدث عنها سفر الرؤيا. بدا وكأن القداسة التي فُرضت عليه بلا هوادة، قد ولّدت داخله شهوة مضادة، توقًا إلى الهروب نحو الظلام. كانت طفولته إذن خليطًا من النقيضين: في الصباح يقرأ آيات الكتاب المقدس بجدية الطفل المطيع، وفي الليل يحلم بأرواح شريرة وعذابات خفية تثير خياله أكثر مما تثير خوفه. لقد أحب الأسماء العبرية وصداها الموسيقي، وأحب قصص الدماء والتعذيب التي وردت في النصوص المقدسة، وكأنها كانت توقظ في داخله انفعالًا غامضًا. شيئًا فشيئًا بدأ يرى في نفسه فارسًا مسيحيًا مظلمًا، لا يخشى السقوط في الخطيئة، بل يتلذذ بها بوصفها طريقًا نحو معرفة أعمق. لم تكن الأم أقل قسوة من العقيدة. فقد كانت امرأة منغلقة، حادة الطبع، لا ترى في العالم سوى الخير والشر، الأبيض والأسود. ومع وفاة زوجها، أصبحت أكثر تشددًا في تربية ابنها، حتى إنها أطلقت عليه لقب "الوحش". واللافت أن هذا اللقب، الذي أرادته شتيمة، تبناه الصبي لاحقًا بفخر، وجعله هويةً له .The Beast 666: هنا نلمح كيف أن التربية الدينية الصارمة قد تتحول – من حيث لا تدري – إلى وقود للتمرّد، وأن الطفل الذي يُثقل بالقداسة أكثر مما يُحتمل، ربما لا يجد

خلاصه إلا بالتحول إلى ضدها. دخل كراولي مدارس مرموقة مثل مالفرن وتونبريدج، لكن صحته كانت هشة، واعتلاله الجسدي زاد عزلته. لم يكن طالبًا عاديًا، بل بدا غريبًا حتى بين زملائه، يجذب الأنظار بلباسه الغريب ونظرته المتعالية. وبين جدران المدارس الداخلية، حيث القسوة سيدة الموقف، نما داخله شعور مزدوج بالاضطهاد والتفوق. هنا أيضًا تسربت إليه فكرة أنه ليس مجرد طفل آخر، بل كائن استثنائي مرسوم له قدر مختلف. ما يميز هذه المرحلة المبكرة أن كراولي لم يتمرد فقط على الدين التقليدي، بل أعاد صياغة التمرد ذاته في صورة أسطورة شخصية. كان في أعماقه يبحث عن معنى آخر للقداسة، معنى لا تحدده الكنيسة ولا يفرضه النص، بل ينبع من ذات الفرد. هذا البحث المبكر سيتجسد لاحقًا في فلسفة "ثيليما" وشعارها الأشهر: "افعل ما تشاء فهو كل الناموس". غير أن الطفولة لم تكن مجرد صراع نفسي وديني؛ لقد شهدت أيضًا بزوغ اهتماماته الأولى بالرموز والطقوس. يروي أنه حتى حفل تعميده وهو رضيع ظل محفورًا في ذاكرته: مشهد الغمر في الماء البارد، كلمات الصلوات الرسمية، ثوب أبيض طويل، وجو من الغموض الاحتفالي. هذه اللحظة الطفولية، التي قد ينساها أي شخص، تحولت عنده إلى مفتاح سحري يربط بين الطقس والهوية. ربما من هنا نشأ شغفه لاحقًا بالسحر الطقوسي، حيث يلتقي الجسد بالنص، والخيال بالفعل. من جهة أخرى، ساهمت الطفولة في صياغة شخصيته المتناقضة: فقد كان حساسًا

للغاية، يميل إلى الأحلام والخيال، لكنه في الوقت ذاته قاسٍ على نفسه وعلى الآخرين. لقد اعتاد منذ صغره أن يفرض على نفسه تحديات غريبة، كأنه يختبر حدود الألم والاحتمال. وفي إحدى اللحظات اعترف بأن فكرة العذاب كانت تثيره أكثر مما تخيفه. هذه المازوخية النفسية ستتحول فيما بعد إلى جانب محوري من طقوسه السحرية وتجارب الاستبصار. وعندما شبّ قليلًا، اتخذ من نفسه موضوعًا دائمًا للتأمل. كان يسأل: لماذا أميل إلى الشيطان؟ لماذا لا أستطيع أن أكون مثل بقية الأطفال؟ ولم يجد جوابًا. كل ما وجده أن القدر وضعه على مسار مغاير، مسار يقوده بعيدًا عن الإيمان الموروث. ومع أنه لم يملك آنذاك أدوات فكرية أو فلسفية، إلا أن إحساسه الداخلي كان واضحًا: إذا كان والده قد عاش حياته مكرّسًا للسماء، فإنه هو سيكرّس حياته لاكتشاف ما وراء السماء، حتى لو كان ذلك في أحضان الجحيم. في تلك السنوات أيضًا بدأت ملامح شخصيته الاستعراضية. لقد أحب أن يُنظر إليه باعتباره مختلفًا، استثنائيًا. لم يكن يكفيه أن يقرأ الكتاب المقدس؛ كان يصر على أن يعيش النصوص كما لو كان بطلها. لم يكن يكفيه أن يُنادى باسمه؛ بل أراد لقبًا يميّزه، وهو ما وجدته أمه حين نعتته بالوحش. هكذا ارتسمت البذرة الأولى لأسطورة "كراولي" التي ستكبر لاحقًا: رجل لا يرضى بأن يكون فردًا عاديًا، بل يسعى لأن يتحول إلى رمز، إلى أيقونة تجمع بين الشر والسحر والقداسة المعكوسة. ومن المثير أن الطفولة التي أحاطت به بكل قيودها، لم تخنقه

تمامًا، بل دفعت به إلى حافة التمرّد الخلاق. فبدلًا من أن ينكسر تحت وطأة التربية الدينية، تحوّل إلى صانع دين جديد. وبدلًا من أن يتوارى خجلاً من لقب "الوحش"، جعله عنوان حياته. هكذا يمكن القول إن طفولته كانت رحمًا للقداسة والتمرّد معًا؛ منها خرج النبي المظلم لعقيدة ثيليما، ومنها بدأ الطريق الطويل نحو لقب "أخطر ساحر في القرن العشرين". لقد كتب كراولي لاحقًا في سيرته الذاتية أن لحظة الطفولة كانت أشبه بالمعركة الأولى في حياته: معركة بين السماء والجحيم، بين إرادة الأب وإغواء الشيطان. وأنه منذ تلك اللحظة لم يعد مجرد طفل في بيت متدين، بل صار مشروعًا لإنسانٍ سيكرّس وجوده كله لاكتشاف حدود الإرادة والحرية، حتى لو كان الثمن أن يقال عنه "المجنون، الفاجر، الوحش."

الفصل الثاني

من كامبريدج إلى القمر

حين بلغ أليستر كراولي سنّ الشباب، كان قد خرج من أسر الطفولة المتدينة التي كبّلته بالقداسة، ليدخل مرحلة جديدة أكثر خطورة: مرحلة البحث عن ذاته بين جدران جامعة كامبريدج. هناك، في أجواء النخبة الإنجليزية، بدأ يتلمّس طريقًا يختلف تمامًا عن إرث أسرته وعن مسار زملائه. لقد كان شابًا غريب الأطوار بكل معنى الكلمة؛ يجلس في قاعات المحاضرات بملابس فاخرة، يرتدي قمصانًا من الحرير وربطات عنق ضخمة، وفي أصابعه خواتم مرصعة بالأحجار. بدا وكأنه جاء من مسرح أو من عالم آخر، لا من قاعات العلم الجافة. في كامبريدج، لم يكن مجرد طالب، بل كان مشروع شاعر وفيلسوف ومغامر. أصدر أولى قصائده وهو لا يزال في سنواته الجامعية، قصيدة بعنوان Aceldama عام 1898،

وصفها بأنها "قصيدة فلسفية كتبها رجل نبيل من جامعة كامبريدج". كانت لغة القصيدة غريبة، تحمل مزيجًا من الرؤى الميتافيزيقية والهذيان الصوفي، حتى إن أساتذته لم يفهموا منها سوى أنها صرخة شاب يطمح إلى ما وراء حدود العقل. هذه كانت أول إشارة إلى أن كراولي لم يكن ينوي أن يعيش كأي رجل آخر؛ لقد أراد أن يكتب نفسه أسطورة منذ البداية. لكن كامبريدج لم تكتفِ بتغذيته أدبيًا وفكريًا، بل أيقظت فيه حبّ التحدي والمغامرة. هنا اكتشف ولعه العميق بالشطرنج، حتى أصبح لاعبًا محترفًا يشارك في مباريات الجامعة ضد أكسفورد. وهنا أيضًا تعرّف إلى رياضة تسلق الجبال، تلك الرياضة التي ستصبح بالنسبة له أكثر من مجرد هواية: ستغدو رمزًا للسعي وراء المستحيل، محاولة لبلوغ القمم الممنوعة التي تُشبه في مخيلته قلاع السماء. لم يكن صعود الجبال مجرد رياضة بدنية، بل كان تجربة صوفية، مواجهة بين الإنسان والهاوية، بين الإرادة والجبل. لقد رأى في الجبل صورة مكثفة للحياة نفسها: صعود شاق، خطر دائم، ومجد ينتظر من يجرؤ. لكن الحدث الحاسم في حياته لم يكن قصيدة أو مباراة شطرنج أو مغامرة جبلية، بل كتاب صغير عثر عليه بالصدفة: السحر الأسود والعهود. هذا الكتاب فتح أمامه بابًا إلى عالم لم يكن قد دخله من قبل: عالم السحر الغامض، حيث الطقوس، الرموز، والأسرار الموروثة عبر العصور. شعر كراولي أن الكتاب يكلّمه مباشرة، كأنه دعوة شخصية إلى طريق مختلف، طريق السحرة والمبتدئين الذين يبحثون عن "الحكمة

المخفية". ومن هنا بدأت رحلته إلى الفجر الذهبي. التقى أليستر بجوليان بيكر، الذي قدمه إلى جورج سيسيل جونز، ومن ثم إلى ماكغريغور ماذرز، قائد التنظيم السحري الشهير الفجر الذهبي .(Golden Dawn) هذه الجمعية لم تكن مجرد نادٍ للغريبي الأطوار، بل مؤسسة سرية ضمّت أسماء بارزة من الأدباء والفنانين في إنجلترا، وادعت أنها تحمل إرث الحكماء القدماء وسرّ الاتصال بـ "الرؤساء السريين" الذين يوجّهون مصير البشرية. بالنسبة إلى كراولي، كان هذا اللقاء بمثابة الميلاد الحقيقي: هنا لم يعد الشاب شاعرًا فقط أو متسلقًا، بل أصبح مبتدئًا في طريق السحر. دخل كراولي النظام بسرعة صاروخية، وتدرّج في رتب الفجر الذهبي حتى وصل إلى مرتبة Philosophus في وقت قياسي. كان يمتلك موهبة نادرة في الطقوس السحرية، يتقن التلاوات، يتعمّق في الرموز، ويخترق حجاب الغموض الذي أربك غيره من المبتدئين. شعر أنه وُلد لهذا الدور، وأن كل ما مر به في طفولته من قداسة وقسوة كان تمهيدًا لهذه اللحظة. لقد وجد بيته الروحي، أو هكذا ظن. ومع ذلك، لم يكن كراولي من النوع الذي يقبل الطاعة أو يرضى بمكانته حتى وإن كانت مرموقة. سرعان ما دخل في صراعات مع ماذرز نفسه، ومع بقية أعضاء الفجر الذهبي، ومن بينهم الشاعر الشهير و. ب. ييتس. كان يتهمهم بالغيرة من عبقريته، فيما كانوا يرونه متكبرًا ومزعجًا. لم يلبث أن تمرد على قيادتهم، بل سرق من معابدهم أسرار الطقوس، وأسس معابد خاصة به، أحدها في شانسيري لين، حيث

أقام معبدًا أبيض وآخر أسود، الأول للضوء والآخر للظلام، في صورة ثنائية تجسد فلسفته الناشئة: أن القوة الحقيقية لا تأتي من اختيار جانب واحد، بل من التلاعب بكلا القطبين. هذه المرحلة كانت بمثابة "عيد ميلاد الساحر". لم يعد أليستر كراولي مجرد شاب متدين متمرّد، بل أصبح "الساحر المتمرّد". هنا اختار لنفسه هوية جديدة: لم يعد إدوارد ألكسندر، بل صار أليستر، الاسم الذي سيخلّده. لقد أراد أن ينفصل عن نسبه العائلي وعن إدوارد الأب، وعن كل ما يربطه بجماعة بليموث. الاسم الجديد كان بمثابة قمر جديد يشرق في سماء حياته، معلنًا بداية عصره الشخصي. وفي خضم ذلك، بدأ يكتب شعرًا أكثر جرأة، يجمع فيه بين الإيروتيكية والرمزية الصوفية. لم يكن يخجل من الإباحية، بل كان يراها وجهًا آخر للقداسة. نشر عملًا بعنوانWhite Stains ، وصفه النقاد بأنه من أكثر النصوص الإباحية إثارة للجدل في الأدب الإنجليزي. لكن بالنسبة لكراولي، لم يكن الأدب الإباحي مجرد استفزاز، بل أداة لكشف الماوراء، فالجنس في نظره باب من أبواب السحر. لم يكتفِ كراولي بالطقوس والكتب، بل أخذ يبحث عن مكان يستطيع فيه ممارسة سحر أبرا-ميلين، الطقس الشهير لاستحضار "الملاك الحارس المقدس". جاب منطقة البحيرة واسكتلندا حتى وجد منزل بوليسكين المطل على بحيرة نِس، فاشتراه ليكون معبده السري. هناك بدأ طقوسه الطويلة التي استمرت أشهرًا، يسعى فيها للتطهير والتواصل مع كيانه الأعلى. لم يصل إلى النتيجة الكاملة في البداية، لكنه

شعر أنه يقترب من النقطة الحاسمة التي ستغير حياته. كل هذه التحولات جعلت كراولي يشعر أنه لم يعد مجرد إنسان، بل كائن يقف بين العوالم. في الجامعة كان طالبًا، في الجبال كان مغامرًا، وفي المعابد كان ساحرًا، لكن في أعماقه بدأ يعتقد أنه شيء أعظم: نبيّ لعصر جديد. هذا الإحساس سيتجسد بعد سنوات قليلة في القاهرة، حين يسمع صوت أيواس ويملي عليه كتاب القانون. لكن البذور الأولى لهذه النبوة زُرعت في كامبريدج، حين قرر أن يكون مختلفًا عن الجميع، وأن يختار القمر بدلًا من الأرض، الغموض بدلًا من الواقع، السحر بدلًا من الدين التقليدي. إن مرحلة كامبريدج لم تكن مجرد سنوات دراسة، بل كانت المختبر الذي وُلد فيه الساحر المتمرّد. هناك صاغ هويته الجديدة، وهناك انفتح على عالم الرموز والطقوس، وهناك بدأ رحلته نحو القمر، الرحلة التي ستجعله واحدًا من أكثر الشخصيات إثارة للجدل في القرن العشرين. لقد كان ميلاده الثاني، ميلاد الساحر، الذي لم يعد يعيش بين البشر فقط، بل صار يحلم أن يكون نجمًا في سماء أخرى، يضيء حين يريد، ويختفي حين يشاء .

الفصل الثالث

المريد الذي لمس السماء

لم يكن الجبل عند أليستر كراولي مجرد كتلة صخرية شاهقة، بل كان معبدًا مفتوحًا للسماء. منذ سنوات شبابه الأولى، حين جرّب تسلق منحدرات منطقة البحيرة في إنجلترا، أدرك أن قلبه يجد في الجبل ما لا يجده في الكنيسة: مواجهة عارية مع الطبيعة، ومجازفة تقف على حافة الموت، وفي المقابل إحساس بالانتصار يشبه طقوس الولادة الجديدة. كان الجبل

عنده صورة مكثفة للغيب، بوابة سرية إلى عالم لا يُرى. بدأت رحلته مع التسلق على نحو متواضع، يتدرّب على المنحدرات الإنجليزية مثل بيتشي هيد، ثم سرعان ما عبر إلى جبال الألب السويسرية حيث تعلّم فنون الصعود الجليدي. لم يكن متسلقًا تقليديًا، بل متصوفًا يرتدي قناع الرياضي. كان يحمل معه كتب الشعر والفلسفة كما يحمل الحبال والفؤوس، ويكتب في يومياته عن كل صخرة يخطو عليها وكأنها رمز لمعراج داخلي. قال مرة: "كل خطوة على الجبل ليست صعودًا فيزيائيًا فقط، بل اقتراب من الذات العميقة، من السرّ الذي ينتظرني وراء السحاب". عام 1902 كانت نقطة تحوّل كبرى. رافق صديقه الألماني أوسكار إيكينشتاين في محاولة طموحة لتسلق قمة تشوغو ري (K2) في سلسلة جبال كاراكورام. في ذلك الوقت لم تكن القمة قد جُرّبت جديًا من قبل، وكانت أشبه بالأسطورة. لم يصل الفريق إلى القمة، لكن التجربة حفرت اسم كراولي في تاريخ التسلق، وأظهرت تصميمه على مواجهة المستحيل. لم يكن إخفاقًا بالنسبة له، بل طقس عبور: لقد لمس السماء حتى لو لم يضع قدمه على القمة. وفي جبال الألب، شاهد رفاقه مغامرته المجنونة حين صعد وحده منحدرًا جليديًا خطيرًا في Mer de Glace أسفل قمة الجيانت. كان فعلًا انتحاريًا بكل المقاييس، لكنه بالنسبة له كان نوعًا من الصلاة الصامتة. كان يبحث عن حدود الخوف، عن اللحظة التي يتساوى فيها السقوط مع الصعود، الموت مع الحياة. تلك اللحظة هي التي كان

يسميها "لمسة السماء". لم يكن الجبل بالنسبة لكراولي مجرد رياضة أو مغامرة شخصية، بل جزءًا من مشروعه الروحي. لقد رأى في قمم الهيمالايا صورة لأهرامات خفية، تختزن أسرار العصور. في كل مرة يصعد فيها كان يشعر أن الأرض تفقد قبضتها عليه وأنه يصبح أقرب إلى نبيّ، أقرب إلى "المريد" الذي يخترق الحجب. حتى أصدقاؤه لاحظوا هذا البعد؛ قال عنه الطبيب والمتسلق لونغستاف إنه "متسلق رائع، وإن كان غير تقليدي"، لكنه أضاف: "لقد رأيته يخاطر بحياته لمجرد شعور داخلي بأن الجبل يدعوه". الجبل أيضًا كان مختبرًا لعلاقته بالجسد. ففي صعوده كان يكتشف كيف يتحول الألم إلى نشوة، وكيف يصبح العرق والبرد والدم جزءًا من طقس التضحية. لم يكن يخشى الجراح، بل كان يتلذذ بها كعلامة على أنه اجتاز اختبارًا من اختبارات القوى الكونية. كأنه كان يقول: "لن يُفتح لي سرّ السماء إلا إذا دفعت جسدي قربانًا للجبل". وهكذا صار الجبل عنده صورة أخرى للسحر. كما يرسم الدائرة السحرية في معابده ليستحضر الأرواح، كان يرسمها بخطواته على الثلج وهو يقترب من القمة. وكما ينشد التعويذات ليستدعي كيانات من العالم غير المرئي، كان يتنفس بصوت عميق في الهواء الرقيق للقمم كأنه يستحضر حضورًا غير بشري. في لحظات الصعود، كان يشعر أن القمم نفسها كائنات واعية، آلهة صامتة تراقب المريد وتختبر صدقه. لم تخلُ مغامراته من المآسي. ففي محاولة صعود كانغشينجونغا، وهي واحدة من أقدس القمم في جبال الهيمالايا،

لقي عدد من رفاقه مصرعهم. كتب كراولي عن تلك اللحظة ببرود عجيب، كأن الموت جزء طبيعي من الطقس. اتُّهم باللامبالاة والقسوة لأنه لم يحاول إنقاذهم، لكنه كان يرى أن من يختار طريق الجبل يوقّع مسبقًا على عهد الموت. هنا ظهر وجهه المزدوج: المتسلق الذي يلمس السماء، والساحر الذي لا يتورع عن التضحية بالآخرين في سبيل اختباره الخاص. والمثير أن الصحافة لم تهمله؛ فقد وصفت محاولاته بأنها مزيج من البطولة والجنون. لكن كراولي كان يبتسم لذلك، وكأنه يقول إنهم لا يفهمون. بالنسبة له لم يكن الجبل خبرًا رياضيًا، بل فصلًا من ملحمته الشخصية. لقد أراد أن يُذكر لا كمغامر فاشل أو ناجح، بل كمريد لمس السماء بقدميه وروحه معًا. في تلك السنوات أيضًا كان يكتب نصوصًا شعرية عن الجبال، يصف فيها القمم كعذارى سماويات، والثلوج كأردية مقدسة، والعاصفة كصوت إله غاضب. كان يمزج بين الإيروتيكي والصوفي، بين الرغبة الجسدية والرغبة الروحية. وربما هنا تتضح فلسفته: أن الجبل ليس مجرد حجر، بل جسد أنثوي كوني، لا يُفتح إلا لمن يملك الشجاعة والشهوة معًا. ومع مرور الوقت، لم تعد رحلاته إلى القمم مجرد هواية أو مغامرة متقطعة، بل صارت جزءًا من هويته التي لا تنفصل عن مشروعه الأكبر. لقد كتب في يومياته: "حين أصعد، أشعر أنني أقترب من حدي الأعلى، من نفسي التي هي في آن واحد ملاك وشيطان". هذه الثنائية هي التي جعلت منه شخصية فريدة: فهو لم يكتفِ بأن يكون شاعرًا

أو ساحرًا أو متسلقًا، بل جمع كل ذلك في صورة واحدة، صورة المريد الذي يسعى دائمًا وراء السماء، حتى لو احترق في الطريق. إن رحلاته على القمم لم تكن مجرد فصول عابرة في حياته، بل كانت مختبرًا للروح، ومرآة تعكس صراعه الداخلي. فكما كان يسعى إلى تجاوز حدود الدين والتقاليد، كان يسعى على الجبل إلى تجاوز حدود الجسد والموت. في كل مرة يعود من الجبال، كان يعود بشخصية جديدة، كأنه ولد من جديد. وهكذا يمكن القول إن الجبال كانت معابد كراولي الحقيقية، حيث مارس طقوسه الكبرى بعيدًا عن أعين الناس. لقد لمس السماء بالفعل، ليس لأنه بلغ القمم كلها، بل لأنه جعل من كل قمة تجربة روحية. ومن هنا كان وصفه الدائم لنفسه لا كرياضي أو مستكشف، بل كمريد. المريد الذي رأى في الثلج كتابًا مقدسًا، وفي الصخر نصًا سرمديًا، وفي العاصفة نشيدًا إلهيًا. ومن بين تلك القمم، صنع لنفسه هوية لن يمحوها الزمن: هوية الساحر الذي صعد الجبال لا ليرى المنظر، بل ليعقد العهد مع السماء. .

الفصل الرابع

كتاب القانون

كانت لحظة الوحي في القاهرة في ربيع عام 1904، شدّ أليستر كراولي الرحال إلى القاهرة مع زوجته روز. لم يكن السفر إلى مصر أمرًا غريبًا بالنسبة لأوروبي ذلك العصر، فقد كانت مصر محطة أساسية في سياحة النخبة الاستعمارية، أرض الأهرامات والآثار الفرعونية التي تحرك الخيال الرومانسي. لكن بالنسبة إلى كراولي، لم تكن الرحلة مجرد نزوة سياحية، بل كانت بحثًا عن فضاء أوسع لأحلامه السحرية، ومسرحًا لاختبار قواه. كان قد جرب طقوسًا سحرية في جبال اسكتلندا، وأقام معابد في شقق لندن، لكن القاهرة بدت له المكان الأمثل لطقس كوني، حيث يلتقي الشرق بالغرب، والآلهة القديمة بالعصور الحديثة. نزل مع روز في فندق فاخر يطل على النيل، وهناك بدأت الأحداث التي ستغير مجرى حياته. كانت روز امرأة لا تهتم بالسحر ولا بالطقوس، لكن فجأة أصابها نوع من الانجذاب الغامض. في إحدى الليالي أخبرته أن روحًا تحاول الاتصال به. لم يصدقها في البداية، فهو كان الساحر المتمرس، وهي لم تكن تعرف شيئًا عن الرموز المصرية. لكنه ازداد دهشة حين اصطحبها إلى المتحف المصري، فمرت أمام تماثيل الآلهة واحدًا تلو الآخر، ثم توقفت أمام تمثال حورس، الإله ذي الرأس الصقري، وقالت له: "إنه ينتظرك". هذه الجملة البسيطة فتحت بابًا لم يكن كراولي نفسه يتوقعه. فقد كان يقرأ الأساطير

المصرية ويمارس طقوسًا مستوحاة منها، لكنه لم يكن يظن أن زوجته – الغريبة عن هذا العالم – ستتحول إلى وسيط يربطه بالإله. هنا بدأ يشك أن ثمة قوة حقيقية تعمل خارج نطاق إرادته. قرر أن يخضع للتجربة: خصص غرفة في الفندق كمعبد، أعدها بالشموع والرموز، وارتدى رداءه السحري، ثم دخل في طقس استدعاء. وفي الثالث من أبريل 1904، سمع الصوت. لم يكن صوت روز، ولا صوتًا داخليًا من خياله، بل صوتًا خارجيًا عرّف نفسه باسم أيواس (Aiwass)، وقال إنه رسول حورس. على مدى ثلاثة أيام، أملى هذا الكيان على كراولي نصًا كاملاً، جملة بعد جملة، وكراولي يكتب بقلم حبر في دفاتر مخصصة. النتيجة كانت كتابًا صغيرًا بثلاثة فصول، سيعرف لاحقًا باسم "كتاب القانون" (The Book of the Law). ذلك الكتاب لم يكن مجرد نص صوفي آخر؛ لقد كان الإعلان عن ديانة جديدة بالكامل، ديانة ثيليما. وفيه ورد الشعار الذي سيخلد اسم كراولي: "افعل ما تشاء فهو كل الناموس". هذا الإعلان بدا له أشبه بإلغاء شامل لكل الأديان السابقة، وانطلاق لعصر جديد هو "عصر حورس". حسب تفسيره، مرّت البشرية بعصرين: الأول عصر إيزيس، رمز الأمومة والطبيعة، ثم عصر أوزوريس، عصر الأب والسلطة والأديان الأبوية – اليهودية والمسيحية والإسلام. لكن في القاهرة، عام 1904، بدأ عصر ثالث، هو عصر الطفل الإله حورس، عصر الحرية الفردية والإرادة الحقيقية. استقبل كراولي هذا الحدث بمزيج من الدهشة والريبة. كان

يعلم أنه كتب النص بيده، لكن إحساسه العميق أنه لم يكن المؤلف، بل مجرد أداة لوحي يتجاوز عقله. حاول في البداية أن يتعامل مع الأمر بصمت، فلم يُعلن الكتاب مباشرة للعالم، بل عرضه على عدد محدود من أصدقائه. لكن كلما مر الوقت، أدرك أن هذا النص ليس حدثًا عابرًا، بل جوهر مشروعه كله. لقد وجد في كتاب القانون ما كان يبحث عنه منذ الطفولة: عقيدة جديدة تحرره من إرث بليموث، وتضعه في موقع النبي لا التلميذ. لم يعد مجرد ساحر يكرر طقوسًا قديمة، بل صار مؤسسًا لديك، يحمل رسالة إلى البشرية. ومن هنا بدأ يرى نفسه في صف واحد مع الأنبياء الكبار: موسى، بوذا، المسيح، محمد. النص نفسه كان غريبًا، مليئًا بالرموز الغامضة، يمزج بين لغة شعرية قاسية وبين أوامر قاطعة. فيه حديث عن الحب باعتباره قانونًا، وعن الحرية باعتبارها الناموس الأعظم، وعن سقوط كل القيود التي فرضتها الأديان السابقة. والأهم من ذلك أنه كان يعلن نهاية "عصر المعاناة" وبداية "عصر القوة". بالنسبة لكراولي، كان هذا بمثابة مانيفستو للقرن العشرين، وبيانًا يمهد لعصر جديد من الوعي. لم يتوقف أثر الوحي عند النص، بل انعكس على حياته اليومية. أصبح يرى نفسه رسولًا، يوقع رسائله بلقب "النبي". بدأ يفسر كل ما حدث في حياته السابقة – الطفولة الدينية، التمرد، تسلق الجبال، دخوله الفجر الذهبي – على أنها مقدمات لهذه اللحظة. القاهرة لم تكن محطة عابرة، بل مسرح ميلاده الثاني، ميلاد النبي. لكن كما هو حال كل الأنبياء المثيرين للجدل، لم

يكن طريقه سهلًا. واجه النص بالرفض أو السخرية حين عرضه على معارفه. بعضهم اعتبره مجرد هذيان مخدرات أو نتيجة لاضطراب نفسي. لكن كراولي لم يتراجع، بل ازداد يقينًا أن رسالته لا بد أن تواجه المقاومة، وأن معركة الديانة الجديدة لن تكون أسهل من معارك الديانات القديمة. لقد صاغ كراولي حول كتاب القانون فلسفة كاملة، جعلها نواة حركة ثيليما. بالنسبة له، لم يكن المهم أن يقتنع الجميع، بل أن يُزرع النص في وعي العصر، مثل بذرة ستنمو لاحقًا. وهذا ما حدث بالفعل: فبعد عقود، سيجد الكتاب صداه في ثقافة البوب والموسيقى والفكر الحر، لكن البداية كانت في غرفة فندق بالقاهرة، حيث جلس شاب إنجليزي وزوجته، يخط بيده كلمات لم يعرف أنه سيصبح بها "الوحش 666" ونبي الحرية. إن لحظة الوحي في القاهرة لم تكن مجرد حادثة غامضة في سيرة رجل، بل كانت نقطة فاصلة في تاريخ السحر الغربي. للمرة الأولى منذ عصور بدا أن هناك كتابًا مقدسًا جديدًا يولد، كتابًا لا يعتمد على معجزات أو نسب سماوي، بل على إعلان إرادة مطلقة. وهذا ما جعل كراولي يقول لاحقًا: "لولا كتاب القانون، لكنت مجرد ساحر صغير، لكن به أصبحت نبيًا". وهكذا، من قلب القاهرة، من بين صدى المآذن ورائحة النيل وغبار الأهرامات، وُلد النص الذي سيجعل أليستر كراولي أكثر من مجرد إنجليزي غريب الأطوار. لقد صار نبيّ عصر حورس، وصار "كتاب القانون" الإنجيل الأسود لعصر

جديد، نصًا لم يزل حتى اليوم يثير الجدل، لأنه لا يقدّم وصايا عشر، بل وصية واحدة: افعل ما تشاء.

الفصل الخامس

الحروب مع سحرة عصره

بعد تجربة القاهرة وولادة *كتاب القانون*، لم يعد أليستر كراولي مجرد شاعر غريب أو متسلق جبال متهور، بل أصبح نبيًّا لعقيدة جديدة. لكن هذا التحول لم يكن يعني أنه سيُحتفى به أو يُستقبل بالترحيب في أوساط السحرة. على العكس، فقد كانت السنوات التالية حافلة بالصراعات والمعارك، ليس مع رجال الدين هذه المرة، بل مع زملائه من السحرة أنفسهم. كانت تلك الفترة بمثابة حرب أهلية في عالم السحر الغربي، وكان كراولي في قلبها، يصارع شيوخه وأقرانه بلا هوادة.

بدايات الصدام مع الفجر الذهبي:

منذ دخوله جمعية **الفجر الذهبي (Golden Dawn)** في أواخر القرن التاسع عشر، كان كراولي عنصرًا مثيرًا للجدل. لقد اندفع بسرعة في الرتب السحرية، وأظهر قدرة غير عادية على استيعاب الرموز والطقوس، حتى أثار غيرة كبار الأعضاء مثل الشاعر وليم بتلر ييتس. لكن النقطة المفصلية جاءت مع صراعه مع قائد الجمعية **ماكغريغور ماذرز**.

ماذرز كان شخصية كاريزمية، يقدّم نفسه وريثًا للتقاليد الهرمسية ووكيلًا للرؤساء السريين، الكائنات الميتافيزيقية التي يفترض أنها تراقب البشرية من

وراء الحجب. لكن كراولي لم يقبل أن يكون تابعًا طائعًا. أراد أن يصعد بسرعة، وأن يفتح لنفسه الأبواب التي يغلقها ماذرز. حين شعر أن الجمعية تتباطأ في ترقيته، لجأ مباشرة إلى ماذرز، طالبًا دعمه ضد بقية الأعضاء. في البداية تعاون الرجلان، لكن سرعان ما تحولت الصداقة إلى حرب مفتوحة.

"معركة شانسري لين":

عام 1900 وقعت الحادثة الأشهر، حين حاول كراولي – بتفويض من ماذرز – اقتحام مقر الجمعية في شانسري لين بلندن، مرتديًا ثوبًا سحريًا وملثمًا بقناع. كان الهدف السيطرة على المعبد بالقوة السحرية والعملية معًا. لكن أعضاء الجمعية تصدوا له ومنعوه من الدخول. تحولت الحادثة إلى فضيحة داخلية، وصارت تُعرف لاحقًا بـ **"معركة شانسري لين"**.

بالنسبة لأعضاء الفجر الذهبي، كان كراولي مجرد دخيل متهور يحاول سرقة أسرارهم. أما بالنسبة له، فقد كانت تلك اللحظة إعلان انفصال: لم يعد بحاجة إلى الجمعية، فهو يملك من الآن طريقه الخاص.

خيانة الشيوخ وبناء المعابد:

بعد هذه المواجهة، بدأ كراولي يشيد معابده الخاصة. أسس في شقق لندن معابد مزدوجة: معبد أبيض للطقوس النورانية، ومعبد أسود للطقوس المظلمة. كان يرى أن القوة لا تتحقق بالضوء وحده أو بالظلام وحده، بل بالمزج بينهما. هذه الفكرة صدمت معاصريه، لأنها بدت أشبه بإعلان انحراف متعمد عن التقاليد الهرمسية التي تمجد النور وتلعن الظلام.

في هذه المعابد، مارس طقوسًا غريبة: استحضار الأرواح، الاستعانة بالكيانات الإينوخية، وحتى طقوس جنسية اعتبرها وسيلة لفتح أبواب الوعي. لم يعد يخفي شيئًا، بل نشر بعض هذه الطقوس في كتبه، متحديًا بذلك قاعدة السرية التي فرضتها الفجر الذهبي على أعضائها.

صراعات مع السحرة الآخرين:

لم يكن ماذرز خصمه الوحيد. فقد دخل في نزاعات مع العديد من السحرة والمفكرين. ييتس، مثلًا، كان يرى فيه مغرورًا بلا انضباط، فيما كان كراولي يسخر من ييتس بوصفه شاعرًا تقليديًا يفتقر إلى الجرأة. حتى أصدقاء الأمس مثل جورج سيسيل جونز ابتعدوا عنه، بعد أن اعتبروا أنه تجاوز حدود المقبول.

هذه الصراعات لم تكن مجرد خلافات شخصية، بل كانت معارك حول السلطة السحرية. كل طرف يدّعي أنه يملك المفاتيح الحقيقية للغيب. وفي هذا المناخ المليء بالشكوك، تحول كراولي إلى شخصية منبوذة في الوسط السحري الرسمي، لكنه في المقابل صار أسطورة في عيون الشباب الذين رأوا فيه المتمرد الحر.

المعابد السوداء:

أخطر ما قام به في تلك الفترة هو تأسيس ما سماه "المعابد السوداء". لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل مختبرات للتجربة القصوى: طقوس جنسية جماعية، استحضارات لأرواح مظلمة، استعمال للمخدرات في الطقوس، وكل

ذلك بهدف كسر القيود وفتح الوعي. بالنسبة له، كان الظلام جزءًا من الطريق، والشيطان ليس عدوًا بل قوة لا بد من مصافحتها.

هذه المعابد أثارت ذعر المجتمع الفيكتوري، الذي كان بالكاد يحتمل فكرة السحر الأبيض. الصحافة بدأت تطلق عليه ألقابًا مثل "أشرس رجل في العالم" و"الوحش 666". لكن كراولي كان يتلذذ بهذه السمعة؛ لقد رأى فيها اعترافًا بقوته، ودليلًا على أن رسالته تضرب في عمق النظام الاجتماعي.

البعد الرمزي للصراع:

على المستوى الأعمق، لم تكن هذه الحروب مجرد خلافات داخلية، بل كانت انعكاسًا لصراع أكبر: صراع بين النظام والفوضى، بين السلطة الموروثة والحرية الفردية. ماذرز وأتباعه أرادوا الحفاظ على تراتبية هرمية، بينما أراد كراولي كسر الهرم وبناء فوضى خلاقة، يعلو فيها صوت الفرد وحده. وهذا ما جعل شعاره "افعل ما تشاء" يبدو مرعبًا لخصومه، لأنه يهدد كل نظام، سواء دينيًا أو سحريًا.

الإرث:

رغم الهزائم والفضائح، خرج كراولي من هذه الحروب أكثر قوة. صحيح أنه فقد مكانه في الفجر الذهبي، لكنه كسب مكانة أكبر: مكانة المتمرّد الذي أسس طريقه الخاص. ومن هذه النقطة بدأ يبني ديانة ثيليما ليس كفرع من تراث هرمسي، بل كدين مستقل.

الحروب مع السحرة كانت إذن لحظة انتقال: من التلميذ إلى القائد، من العضو المتمرد إلى النبي المؤسس. لقد حطّم القيود التي حاولت ربطه بجمعية، وفتح أمام نفسه أبوابًا أوسع، حتى لو كانت مظلمة. ومن بين تلك الأبواب، وُلدت معابده السوداء، التي وإن لم تستمر طويلًا، تركت أثرًا لا يُمحى في تاريخ السحر الغربي.

الفصل السادس

الحياة بين الشعر والإباحية

إذا كان الجبل معبد كراولي الجسدي، والطقوس السحرية معبده الروحي، فإن الكتابة كانت معبده الفكري. منذ شبابه في كامبريدج، أدرك أن الكلمات تملك سحرًا لا يقل عن الطقوس، وأن القلم قد يكون عصًا سحرية تفتح الأبواب المغلقة للعقل والخيال. لم يكن شاعرًا تقليديًا، بل كاتبًا يخلط بين الشعر والفلسفة، وبين الإباحية والتصوف، ليخلق لغة جديدة تشبهه: جريئة، صادمة، متناقضة، لكنها في النهاية نافذة إلى أسرار لم تُكشف من قبل.

البدايات الشعرية:

في أواخر القرن التاسع عشر، نشر كراولي أول أعماله الشعرية، منها *Aceldama* (1898) التي قدمها بجرأة كقصيدة فلسفية لشاب نبيل من جامعة كامبريدج. لم تلقَ العمل استحسان النقاد، إذ اعتبروها متكلفة ومهووسة بالرموز، لكن بالنسبة إليه كانت بداية إعلان أن الأدب ليس زينة ثقافية، بل طريق للبحث عن المعنى.

ثم تبعها بدواوين أخرى، منها *Songs of the Spirit* و*The Soul of Osiris*، حيث مزج بين الغنائية والرمزية الدينية. كان مفتونًا بالأساطير المصرية واليونانية، يرى في الشعر وسيلة لإحياء الآلهة القديمة في زمن حديث. لم

يكن يكتب للقراء بقدر ما يكتب لنفسه، كأنه يسجل طقوسًا سرية بلغة شعرية.

الشعر كطقس:

بالنسبة لكراولي، القصيدة لم تكن مجرد نص، بل طقس. كما يرسم الساحر دائرة على الأرض ليحمي نفسه من الأرواح، كان يرسم دائرة من الكلمات ليحاصر القارئ داخل فضاء جديد. كل كلمة عنده تعويذة، كل بيت إنشادي، وكل قصيدة محرابًا سحريًا. هذه الرؤية جعلته مختلفًا عن معظم معاصريه. بينما كان الشعراء الرومانسيون يتغنون بالطبيعة أو العاطفة، كان هو يتغنى بالكيانات الغيبية وبالأحلام الإيروتيكية كأنها مفاتيح لفتح أبواب أخرى من الإدراك.

الأدب الإباحي:

لكن الجانب الأكثر إثارة للجدل في كتاباته كان نزوعه إلى الإباحية. عام 1898 نشر نصًا بعنوان *White Stains*، مجموعة قصائد إباحية صادمة لمجتمع فيكتوري متحفظ. النصوص مليئة بصور جنسية جريئة، لكنها لم تُكتب لمجرد الإثارة، بل كطقوس سحرية مكتوبة. كان يرى في الجنس قوة كونية، والطاقة الجنسية بوابة إلى الإلهي. لذلك فإن تصويره للجسد العاري أو للفعل الجنسي لم يكن ترفًا، بل إعلانًا أن الجسد ذاته معبد، وأن ممارسة الجنس يمكن أن تكون صلاة سرية.

بالنسبة له، كانت الإباحية تحديًا مزدوجًا: تحديًا للأخلاق الفيكتورية التي تقمع الجسد، وتحديًا للتيارات الأدبية التي تحصر الشعر في الحب العذري أو الجمال المثالي. لقد قلب الطاولة، وقال بوضوح إن الجسد – بكل رغباته وفضائحه – هو النص المقدس الجديد.

القلم كعصا سحرية:

كراولي لم يتعامل مع الكتابة بوصفها مهنة أو هواية، بل كأداة سحرية. كما يستعمل الساحر عصاه ليوجه الطاقة، كان هو يستخدم القلم لتوجيه الوعي. كان يكتب نصوصه في لحظات طقسية: يشعل البخور، يضع رموزًا سحرية حوله، يدخل في حالة شبيهة بالاستحضار، ثم يكتب. كان يؤمن أن الكلمات ليست ملكًا له وحده، بل رسائل تمر عبره من كيانات عليا. *كتاب القانون* مثال أوضح على ذلك، إذ اعتبر نفسه مجرد كاتب يملي عليه أيواس. لكن حتى في أشعاره الإباحية، كان يصر على أن ثمة قوة ما تكتب من خلاله.

الأدب كفضيحة:

لم يكن غريبًا أن يثير كراولي فضائح أدبية. في زمنه، كانت إنجلترا لا تزال تعيش تحت ظل قضية أوسكار وايلد، حيث ارتبط الأدب بالمثلية والإباحية في ذهن الجمهور المحافظ. لذلك، حين نشر كراولي نصوصه، كان الإعلام يترصده بسرعة. وصفته بعض الصحف بـ"الوحش"، ليس فقط بسبب سمعته في الطقوس السحرية، بل أيضًا بسبب جرأته الأدبية.

لكن كراولي كان يتلذذ بهذا اللقب. بالنسبة له، كل فضيحة هي نوع من الإعلان، وكل صدمة للبرجوازيين انتصار صغير لثيليما. لقد فهم أن الشهرة لا تأتي فقط من الإنجازات، بل من الجرأة على كسر المحرمات. وهكذا صار أدبه جزءًا من شخصيته العامة: الوجه المعلن للساحر المتمرد.

فلسفة الكتابة عنده:

في قلب فلسفته الأدبية كان مبدأ "الوحدة بين الكلمة والجسد". الكلمة عنده ليست منفصلة عن الجسد، بل امتداد له. لذلك فإن الكتابة عن الجنس ليست سوى كتابة عن اللغة ذاتها، لأن اللغة رغبة أيضًا. كل جملة تلمس قارئها كما يلمس الجسد جسدًا آخر. ومن هنا، كان يؤمن أن الأدب يمكن أن يُحدث نفس الأثر الذي تُحدثه الطقوس الجنسية أو السحرية.

كتب مرة: "الكلمة جسد، والجسد كلمة. حين أكتب قصيدة، فأنا أمارس الجنس مع الكون". هذه العبارة تلخص فكرته عن القلم كأداة للسحر: الكتابة ليست مجرد فعل عقلي، بل فعل جسدي وروحي معًا.

أثره على الأدب اللاحق:

رغم أن معاصريه استهجنوا نصوصه، إلا أن أثره ظهر بوضوح في الأدب والفن اللاحق. شعراء الطليعة في القرن العشرين – من السورياليين في فرنسا إلى حركة "البيت" في أمريكا – وجدوا في كتاباته مثالًا على الحرية المطلقة. حتى الموسيقيون في السبعينيات مثل جيمي بايج من فرقة ليد زيبلين تبنوا

نصوصه وشعاراته. وهكذا صار كراولي، بعد عقود من موته، نبيًّا غير معلن لثقافة التمرد والإباحية في القرن العشرين.

بين الشعر والسحر

في النهاية، لم يكن هناك فصل عند كراولي بين الشعر والسحر. كلاهما أدوات لتغيير الوعي. الطقس السحري يستخدم الرموز والحركات والتعاويذ، بينما يستخدم الشعر الكلمات والإيقاع. لكن الهدف واحد: فتح الأبواب المغلقة للعقل، واستدعاء قوى تتجاوز الفرد. لذلك كان يرى نفسه لا كاتبًا فقط، بل "ساحر كلمات".

لقد كان القلم بالنسبة له مرآة، وسيفًا، وعصا سحرية. كتب به نبوءاته، فضائحه، طقوسه، وأحلامه. وحين اتهموه بالإباحية، كان يرد: "إنني أكتب ما هو حقيقي، وما هو مقدس، حتى لو كنتم لا ترونه كذلك".

الفصل السابع

دير ثيليما في صقلية

التجربة الكبرى والفشل المرير:

بعد سنوات من الترحال والكتابة والطقوس المبعثرة، شعر أليستر كراولي أن عقيدة **ثيليما** التي بشّر بها بحاجة إلى مركز روحي، مكان يجمع المريدين تحت سقف واحد، أشبه بدير لكن على نسق مختلف. لم يكن يريد ديرًا مسيحيًا بالمعنى التقليدي، بل مختبرًا للحرية الفردية، مكانًا يعيش فيه أتباعه شعار العقيدة: **"افعل ما تشاء فهو كل الناموس"**. ومن هذا الطموح، وُلد مشروع **دير ثيليما** في جزيرة صقلية الإيطالية.

البحث عن الأرض المقدسة:

عام 1920، اختار كراولي بلدة ساحلية صغيرة تُسمى **سيفالو**، تقع شمال الجزيرة، على تلة مطلة على البحر الأبيض المتوسط. بدت له البيئة مثالية: شمس ساطعة، طبيعة خلابة، وعزلة نسبية عن أعين السلطات. استأجر بيتًا ريفيًا متواضعًا، وقرر أن يحوّله إلى **"آبادية ثيليما"** – دير روحي مكرس لتطبيق العقيدة الجديدة. بالنسبة إليه، كان هذا المكان أشبه بـ"مكة ثيليما"، مركزًا عالميًا لانطلاق عصر حورس.

الحياة في الدير:

بدأت الحياة في الدير بطقوس يومية صارمة على غرار الأديرة القديمة، لكنها محوّرة لتتماشى مع فلسفة ثيليما. كان المريدون يستيقظون مع الفجر، يمارسون طقوسًا سحرية، يدرسون نصوص *كتاب القانون*، ويدخلون في جلسات تأمل وتمارين يوغا. لكن الدير لم يكن مكانًا للزهد والحرمان؛ على العكس، كان مكانًا للاحتفال بالجسد والحرية.

الجنس كان جزءًا أساسيًا من الحياة اليومية. كراولي رأى في الممارسة الجنسية وسيلة لفتح أبواب الوعي، فحوّلها إلى طقس روحي يُمارس في العلن أحيانًا. كما استُخدمت المخدرات – خصوصًا الهيروين والكوكايين – كأدوات لبلوغ حالات وعي عليا. بالنسبة له، لم تكن هذه الممارسات انحرافًا، بل تطبيقًا عمليًا لفلسفته: لا محرمات، بل اختبار دائم لحدود الجسد والعقل.

الجدران الداخلية للدير حُوّلت إلى لوحات جدارية مليئة بالرموز الغامضة: آلهة مصرية، أشكال شيطانية، صور جنسية صريحة. كل غرفة كانت تمثل "بوابة" إلى مستوى من مستويات الوعي. حتى غرفة الأطفال لم تسلم من هذه الجداريات، ما أثار لاحقًا انتقادات عنيفة من الصحافة الأوروبية.

المريدون والطقوس:

جذب الدير مجموعة متنوعة من المريدين: شباب وشابات من إنجلترا وأمريكا، مثقفون بوهيميون، مغامرون يبحثون عن تجربة قصوى. بالنسبة لهؤلاء، كان كراولي نبيًا ومعلّمًا، يعيشون معه تجربة لم يعهدها الغرب من

قبل. كانوا يطلقون على أنفسهم أسماء سحرية، ويشاركون في الطقوس الجماعية التي تمزج بين التراتيل والرقص والجنس والمخدرات.

أحد المريدين كتب لاحقًا: "كنا نشعر أننا نعيش في مركز الكون، حيث تسقط كل القيود، ونصبح أحرارًا كما لم نكن من قبل". لكن آخرين رأوا التجربة أقرب إلى فوضى وانحلال.

حادثة راؤلك لاند:

الحدث الذي سيُسرّع سقوط الدير كان وفاة أحد المريدين، الشاب الإنجليزي **راؤلك لاند**. بعد مشاركته في طقس سحري، أصيب بمرض حاد يُعتقد أنه الملاريا أو التهاب الكبد، لكنه تُرك دون عناية طبية كافية، وتوفي في ظروف غامضة. زوجته، التي نجت من التجربة، عادت إلى إنجلترا وأبلغت الصحافة بما جرى.

الصحف التقطت القصة بشغف، وصارت عناوينها تتحدث عن "معبد الجنس والمخدرات" و"عبادة الشيطان في صقلية". كراولي تحوّل من شخصية غريبة الأطوار إلى "وحش أوروبا"، رمز للانحراف الأخلاقي والخطر الروحي.

مواجهة السلطات الإيطالية:

تحت ضغط الصحافة البريطانية، بدأت السلطات الإيطالية تراقب الدير عن كثب. وفي عام 1923، أصدر موسوليني نفسه قرارًا بطرد كراولي من إيطاليا.

كان الطرد ضربة قاصمة لمشروعه: الدير أُغلق، المريدون تفرقوا، وكراولي اضطر إلى الهرب نحو فرنسا.

هكذا انتهت تجربة دير ثيليما بعد ثلاث سنوات فقط، تاركة وراءها سمعة أسطورية. بالنسبة لمؤيدي كراولي، كان الدير تجربة رائدة حاولت تطبيق الحرية المطلقة، لكنها اصطدمت بمجتمع لم يكن مستعدًا. أما بالنسبة لخصومه، فقد كان مجرد وكر للانحلال والجنون.

الفشل المرير:

بالنسبة لكراولي نفسه، كان سقوط الدير فشلًا مريرًا. لقد حلم أن يكون هذا المكان بداية لعصر جديد، فإذا به يتحول إلى فضيحة عالمية. لكنه لم يتراجع، بل حاول أن يقرأ الحدث ضمن سياق صراعه مع "قوى الظلام" التي تعارض رسالته. كتب في يومياته: "لقد حاربوني لأنني حررت الإنسان من قيوده. سيأتي اليوم الذي يُعاد فيه فتح دير ثيليما في قلوب البشر".

ومع ذلك، لم يستطع إنكار الألم. فقد خسر بيتًا كان يراه مركزًا للكون، وخسر عددًا من المريدين الذين شعروا بالخيبة. والأهم أنه بدأ يدخل في مرحلة من الانحدار الجسدي والنفسي، إذ ازداد اعتماده على الهيروين، وصارت أيامه تتأرجح بين نوبات من الإبداع ونوبات من الانهيار.

الإرث:

رغم فشل التجربة على المستوى العملي، ترك دير ثيليما أثرًا عميقًا في الثقافة الغربية. صار رمزًا للحلم بمجتمع بديل، حيث الحرية مطلقة، والجسد

مقدس، والطقس الفني/الجنسي هو مركز الحياة. بعد عقود، سيستعيد الهيبيون في الستينيات بعضًا من أفكار الدير، وسيعتبره آخرون نواة مبكرة لحركات التحرر الجنسي.

في النهاية، لم يكن دير ثيليما مجرد بيت في صقلية، بل رمزًا لصراع كراولي مع العالم: محاولة لخلق جنة على الأرض، انتهت بفضيحة وطرد. تجربة كبرى انتهت بفشل مرير، لكنها تركت أثرًا لا يُمحى في أسطورته.

الفصل الثامن

السفر في الصحراء والرؤى الإينوخية

رحلة عبر أبواب الغيب:

منذ أن أملى عليه أيواس *كتاب القانون* في القاهرة، صار الشرق بالنسبة لأليستر كراولي أكثر من مجرد فضاء جغرافي؛ أصبح مسرحًا للوحي والاختبار. وإذا كانت مصر قد أعطته كتابًا مقدسًا، فإن الصحراء العربية ستمنحه تجارب سحرية من طراز آخر، تجارب سيعتبرها لاحقًا أعظم إنجازاته الباطنية. تلك هي رحلة "الرؤى الإينوخية"، التي قادته إلى أبواب الغيب وواجهته مع كيانات لم يجرؤ غيره على الاقتراب منها.

الصحراء: المسرح المثالي:

في خريف 1909، اصطحب كراولي تلميذه وصديقه الشاعر فيكتور نيوبورغ إلى صحراء الجزائر. اختار الصحراء لأنها فضاء فارغ، بلا تشويش من حضارة أو مدينة، مكان يفتح الروح على اللانهاية. هناك، بين الكثبان والسماء المرصعة بالنجوم، أقام معسكرًا صغيرًا: خيمة، أدوات بسيطة، وبعض الكتب السحرية. لكن ما كان يبحث عنه لم يكن الراحة الجسدية، بل الاتصال بالعوالم الأخرى.

الصحراء كانت بالنسبة له مرآة داخلية. كلما جلس في السكون، شعر أن الرمال تتحدث إليه، وأن الرياح تهمس بأصوات كيانات خفية. لقد رأى أن هذا الفضاء العاري هو المكان الأمثل لتجارب "السحر الإينوخي" – النظام

السحري الذي طوره جون دي وإدوارد كيلي في القرن السادس عشر، باستخدام لغة غامضة قالا إنها لغة الملائكة.

الرؤى الإينوخية:

بدأ كراولي ونيوبورغ بفتح "الأثيرات الإينوخية"، وهي مستويات من الوعي يُعتقد أنها 30 عالمًا متدرجًا، كل واحد منها أشبه ببوابة إلى مستوى أعلى من الواقع. كان كراولي يجلس داخل دائرة سحرية، يتلو التعاويذ الإينوخية، فيما يقوم نيوبورغ بدور "المراقب"، يسجل ما يراه ويسمعه.

في كل جلسة، كان كراولي يدخل في حالة غيبية يرى فيها رؤى غريبة: مدنًا من الضوء، ملائكة بأجنحة من لهب، وحوشًا كابوسية تمثل العوائق الداخلية. أحيانًا كان يصرخ فجأة، ثم يصف ما يراه بلغة شعرية غامضة. هذه الرؤى دُوّنت لاحقًا في كتابه *Voice The Vision and the*، الذي اعتبره العمل الأعمق في مسيرته الروحية.

مواجهة كورونزون:

اللحظة الأشد خطورة جاءت في الرؤية الخاصة بالأثير العاشر، حيث واجه كراولي الكيان المعروف باسم كورونزون (Choronzon). هذا الكائن، في تقاليد السحر الإينوخي، يمثل "شيطان العدم"، العائق الأخير قبل بلوغ التنوير.

بحسب الرواية، دخل كراولي الدائرة السحرية وبدأ الطقس، فيما جلس نيوبورغ للحراسة. فجأة، بدأت أصوات غريبة تعصف بالمكان، وظهر حضور

خفي حاول اختراق الدائرة. كراولي وصف الكيان بأنه كائن متقلب الشكل، يتبدل من وحش إلى ملاك إلى ظل بلا ملامح. حاول كورونزون إغراءه بالكبرياء، ثم تهديده بالفناء، ثم بث الرعب في قلبه. لكن كراولي ظل يتلو التعاويذ ويقاوم.

في لحظة حاسمة، اندفع الكيان محاولًا كسر الدائرة، لكن نيوبورغ تدخل، رافعًا الخنجر السحري، وتمكن من صد الهجوم. انتهى الطقس بانتصار، لكن كراولي خرج منه منهكًا، وكأنه عبر معركة وجودية. اعتبر هذه التجربة برهانًا على صدق طريقه: لقد واجه شيطان العدم وانتصر، وبالتالي صار مؤهلًا لعبور الأثيرات العليا.

العلاقة مع نيوبورغ:

رحلة الصحراء لم تكن مجرد مغامرة روحية، بل أيضًا اختبارًا للعلاقة بين كراولي وتلميذه نيوبورغ. كان بينهما ارتباط معقد، جمع بين الصداقة، التلمذة، وأحيانًا العلاقة الجسدية. بالنسبة لنيوبورغ، كان كراولي معلمًا وقاسيًا في الوقت ذاته، يرفع به إلى أعالي الرؤى ثم يجره إلى هاوية المخدرات والطقوس الجنسية. بعد العودة من الصحراء، ستنهار علاقتهما تدريجيًا، لكن تلك التجربة ستظل تربط اسميهما إلى الأبد.

معنى الرؤى:

ما الذي خرج به كراولي من هذه الرحلة؟ في كتاباته، فسّر الرؤى الإينوخية على أنها مراحل لاكتشاف الذات العليا. الملائكة والوحوش لم تكن مجرد

كيانات خارجية، بل تجسيدات لقوى داخل النفس. كورونزون، مثلًا، كان رمزًا للأنا الممزقة التي تحاول منع الإنسان من بلوغ حقيقته العليا.

لقد رأى أن عبور الأثيرات يشبه معراجًا روحيًا: من عالم المادة إلى عالم الروح، ومن السقوط في العدم إلى التوحد مع "الملاك الحارس المقدس". بالنسبة له، لم تكن التجربة مجرد خيال أو هذيان، بل طقسًا أعاد صياغة كيانه، وجعل منه "ساحرًا متحققًا".

الصحراء كرمز:

الصحراء بقيت رمزًا محوريًا في حياته. كتب عنها كثيرًا، ورأى فيها صورة للعقل حين يُطهَّر من الضوضاء. كما أن مواجهة الفراغ – فراغ الرمال والسماء – تعادل مواجهة فراغ الذات. لذلك اعتبر أن أعظم الرؤى لا تأتي في المدن أو المعابد، بل في الصحراء العارية، حيث لا شيء سوى الإنسان وظله.

الإرث:

رحلة الجزائر والرؤى الإينوخية صارت فيما بعد جزءًا من أسطورة كراولي. بالنسبة لمريديه، كانت دليلاً على أنه اخترق الحجاب ورأى ما لا يُرى. أما النقاد، فاعتبروها مثالًا على الهلوسة الناتجة عن المخدرات والطقوس المرهقة. لكن أيًا كان التفسير، فإن هذه التجربة ظلت محورًا لفهم مشروعه: السعي المستمر لعبور الحدود، حتى لو كانت تلك الحدود بين العقل والجنون.

الفصل التاسع

الساحر في زمن الحروب

السياسة والجدل والمخدرات:

حين اندلعت الحرب العالمية الأولى عام 1914، كان أليستر كراولي يعيش حياة مليئة بالفضائح الأدبية والسحرية. لكن الحرب أضافت طبقة جديدة إلى صورته: صفة "الجاسوس" و"الخائن"، وهي تهم ستلاحقه حتى بعد موته. ومع دخول العالم في زمن الدم والدخان، بدا أن كراولي يجد نفسه – كما دائمًا – في قلب الجدل، بين السياسة والسحر والمخدرات.

الحرب العالمية الأولى: بين الجاسوسية والدعاية:

في بدايات الحرب، انتقل كراولي إلى الولايات المتحدة. هناك نشر مقالات مثيرة في مجلة *Fatherland The*، وهي مجلة ألمانية-أمريكية تدافع عن ألمانيا ضد بريطانيا. كتب نصوصًا مليئة بالسخرية والتهكم، تنتقد السياسة البريطانية وتصف الإمبراطورية بأنها قوة متعفنة. الصحافة البريطانية تلقفت كتاباته كدليل على خيانته.

لكن كراولي ادعى لاحقًا أنه كان يعمل سرًا لصالح الاستخبارات البريطانية، وأن مقالاته لم تكن سوى دعاية مضادة تهدف إلى تشويه صورة ألمانيا أمام الرأي العام الأمريكي. لم يظهر دليل قاطع يؤكد أو ينفي هذا الادعاء، وظلت قصته في هذا الجانب معلقة بين الحقيقة والأسطورة.

في كل الأحوال، كان حضوره في أمريكا غريبًا. بينما يكتب المقالات السياسية، كان يقيم طقوسًا سحرية في شقق نيويورك، وينشر كتبًا عن ثيليما، ويحاول تجنيد مريدين جدد. بالنسبة إليه، لم يكن هناك فصل بين السياسة والسحر؛ كلاهما مسرح للسلطة والتأثير.

بين الحربين: صورة الوحش:

بعد انتهاء الحرب الأولى، عاد كراولي إلى أوروبا وهو يحمل لقبًا لم يعد يفارقه: "الوحش 666". الصحف البريطانية وصفته بأنه "أخطر رجل في العالم"، ورسمته كشيطان حيّ. هذه الصورة لم تضره بقدر ما غذّت أسطورته. كان يبتسم وهو يقرأ المقالات التي تلعنه، ويقول: "إنهم يصنعون مني ما أريد أن أكونه".

لكن خلف هذا القناع الإعلامي، كان جسده وروحه يتآكلان. فقد غرق أكثر فأكثر في إدمان الهيروين، الذي بدأ استخدامه كمسكن ثم تحوّل إلى عبودية كاملة. لم يعد قادرًا على الاستغناء عنه، وصار يعيش بين نوبات من النشوة والانهيار.

الحرب العالمية الثانية: نبي ضد النازية؟:

مع اندلاع الحرب الثانية عام 1939، عاد الجدل من جديد. هل كان كراولي عميلًا بريطانيًا؟ هناك روايات تقول إنه عرض خدماته على جهاز الاستخبارات البريطاني (MI6)، واقترح عليهم استخدام الرموز السحرية والشعارات الغامضة في الحرب الدعائية ضد النازية. إحدى القصص تزعم

أنه اقترح استغلال رمز الصليب المعقوف بصفته "شعارًا سحريًا" لإرباك العدو.

لم يُعرف إن كان قد شارك فعلًا في عمليات ملموسة، لكن المؤكد أنه ظل يعتبر نفسه جزءًا من المعركة. كتب في يومياته أن هتلر ليس إلا "ساحرًا فاشلًا"، وأن النازية شكل منحرف من السحر الأسود، بينما هو يمثل الطريق الصحيح للحرية الفردية.

الجدل المستمر:

في زمن الحربين، كان كراولي محط شائعات لا تنتهي: جاسوس مزدوج، ساحر يعمل للمخابرات، نبي شيطاني يحرض على الفوضى. بعض أتباعه اعتبروه ضحية إعلام ظالم، بينما رآه آخرون مجرد مقامر يستغل كل فرصة للفت الأنظار. لكنه في العمق لم يكن يهتم بالدقة التاريخية؛ كان يعلم أن الأسطورة أهم من الحقيقة.

المخدرات كقدر:

لا يمكن فهم كراولي في زمن الحروب من دون الحديث عن المخدرات. فقد صار الهيروين جزءًا من حياته اليومية. كان يبرر إدمانه بأنه "وسيلة لفتح الأبواب"، لكن الواقع أن جسده صار يتآكل. أصدقاؤه كتبوا عنه في تلك الفترة: "كان يبدو كأنه هيكل عظمي حي، يتنفس بصعوبة، لكنه حين يبدأ الحديث يلمع كالنجم".

حتى وهو غارق في الإدمان، لم يتوقف عن الكتابة. نشر كتبًا مثل *Magick in Theory and Practice*، حيث حاول أن يقدم السحر كعلم متكامل، يمزج بين الفلسفة والطقوس والتجربة الشخصية. كان يكتب وسط نوبات الألم، كأن الكتابة صارت آخر خيط يربطه بالعالم.

السياسة بوصفها سحرًا:

ما يميز كراولي في زمن الحروب أنه لم يفصل بين السياسة والسحر. كان يرى أن السياسيين يستخدمون الرموز والشعارات كما يستخدمها السحرة، وأن الجماهير تخضع للتنويم كما تخضع المريدين للطقس. بالنسبة له، خطب هتلر أو تشرشل ليست سوى طقوس جماعية لتحريك الطاقات. وهذا الفهم جعله يعتقد أنه الأقدر على قراءة "الحرب الكبرى" كحدث سحري بامتياز.

السقوط البطيء:

مع اقتراب الحرب الثانية من نهايتها، كان كراولي قد بلغ مرحلة الانهيار. عاش في فقر مدقع، يعتمد على دعم أصدقاء قلائل، متنقلًا بين غرف صغيرة في لندن قبل أن يستقر في بلدة هاستينغز الساحلية. جسده صار هشًا، لكن ذهنه ظل مفعمًا بالأفكار. كان يتحدث عن الحرب كعلامة على دخول "عصر حورس"، ويؤكد أن فلسفة ثيليما هي الحل للأزمات العالمية. لكن العالم لم يكن يصغي. بالنسبة للغالبية، كان مجرد مدمن عجوز فقد بريقه. ومع ذلك، بقيت الصحافة تلاحقه حتى النهاية، تبحث في حياته

عن فضيحة جديدة أو قصة غريبة، لتغذي صورة "الوحش" التي التصقت به.

معنى هذه المرحلة:

إن زمن الحروب كشف الوجه المزدوج لكراولي: من جهة، رجل يحاول أن يضع فلسفته في قلب الأحداث العالمية، ومن جهة أخرى، مدمن عاجز يعيش على الهامش. بين الجدل السياسي والمخدرات، بين صورة الجاسوس وصورة النبي، ظل يعيش حالة التناقض التي ميزت حياته كلها.

لقد كانت الحروب بالنسبة له أكثر من أحداث تاريخية؛ كانت مسرحًا لتجسيد صراعه الداخلي. ففي الحرب رأى صراع الآلهة، ورأى نفسه جزءًا من هذا الصراع. وربما لهذا السبب لم يتوقف عن اعتباره نبيًّا حتى وهو ينهار: نبي يعيش زمن الدم والدخان، ويصر أن العالم لا يمكن أن يُفهم إلا بلغة السحر.

الفصل العاشر

النهاية في هاستينغز

موت الوحش 666 وولادة الأسطورة:

بعد عقود من الصراعات والسفر والطقوس والفضائح، وجد أليستر كراولي نفسه في سنواته الأخيرة وحيدًا، مريضًا، يعيش في فقر مدقع. لم يعد ذلك الساحر الذي يتحدى الجبال والصحافة والسحرة الآخرين، بل صار رجلًا عجوزًا يعيش في بلدة ساحلية هادئة تُسمى هاستينغز على شاطئ إنجلترا. ومع ذلك، فإن صورة النهاية لم تكن هزيمة كاملة، بل لحظة ولادة جديدة لأسطورته: "الوحش 666" الذي مات كإنسان، لكنه استمر كرمز خالد.

سنوات الانحدار:

منذ منتصف الثلاثينيات، بدأت حياة كراولي تنحدر بسرعة. لم يعد يملك المال الذي أنفقه بسخاء في شبابه، ولم تعد كتبه تحقق أرباحًا تُذكر. اعتمد على صدقات بعض أتباعه القدامى الذين ظلوا يؤمنون به حتى النهاية. كان يعيش متنقلًا بين بيوت مستأجرة، يحمل معه حقيبة مليئة بالكتب والمخطوطات، وعادة الهيروين التي لم يستطع الفكاك منها.

إدمانه على الهيروين كان قد بدأ طبيًا – علاجًا لآلام الربو التي عانى منها طويلًا – لكنه تحول إلى قيد لا يرحم. حاول أطباء عدة مساعدته على التوقف، لكنه كان يعود دائمًا إلى المخدر، معتبرًا إياه جزءًا من "طقسه الشخصي". وهكذا

أصبح جسده هزيلًا، وجهه محفورًا بالتجاعيد، وصوته واهنًا. لكن عينيه ظلتا تلمعان بوميض غريب، كأنهما آخر بقايا الوحش.

حياة في الظل:

في هاستينغز، كان يعيش في فندق صغير متواضع يُسمى "Netherwood". أصحاب الفندق وصفوه بأنه نزيل غريب الأطوار: قليل المال، لكنه مثقف، يقضي وقته في الكتابة أو إلقاء المحاضرات الصغيرة لأصدقائه. كان يستقبل بعض المريدين الذين يزورونه ليتعلموا منه الطقوس، ويجلسون معه لساعات يستمعون إلى قصصه عن القاهرة والصحراء ودير ثيليما.

على الرغم من ضعفه الجسدي، لم يتوقف عن العمل. واصل كتابة نصوص سحرية وتعليقات على *كتاب القانون*. نشر كتابه الأشهر *Magick Without Tears*، الذي جمع فيه رسائل شرح مبسط لمبادئ السحر وثيليما. كان يدرك أن وقته يقترب من النهاية، فأراد أن يترك "وصية مكتوبة" لأتباعه.

الصحافة لا ترحم:

حتى وهو يحتضر، لم تتركه الصحافة البريطانية. كانت تترصده بالصور والمقالات، تصفه بـ"أشرس رجل في العالم" و"الساحر الشيطاني". بالنسبة للجمهور، كان مجرد فضيحة متحركة، رجل عاش للملذات والمخدرات والجنس. لكن هذا التشويه لم يكن إلا وقودًا لأسطورته. فقد فهم كراولي منذ

زمن أن الكراهية قد تصنع شهرة أكثر من الحب، وأن "الوحش" سيبقى حيًا ما دام الناس يخافونه.

اللحظات الأخيرة:

في الأول من ديسمبر عام 1947، أسلم أليستر كراولي الروح عن عمر يناهز 72 عامًا. كان موته هادئًا مقارنة بحياته الصاخبة. بعض الروايات تقول إنه طلب جرعة هيروين أخيرة في ساعاته الأخيرة، وكأنه أراد أن يغادر العالم بنفس الطريقة التي عاش بها: متحديًا، غارقًا في الطقس والمخدر.

جنازته كانت صغيرة، حضرها عدد قليل من أصدقائه ومريديه. لكن حتى في هذه اللحظة، لم يخلُ الأمر من الجدل. الكاهن الذي قاد المراسم رفض تلاوة نصوص ثيليما، لكن المريدين أصروا على قراءة مقاطع من *كتاب القانون*. الصحف البريطانية وصفت الجنازة بأنها "قداس شيطاني"، ما أثار ضجة جديدة حول اسمه.

ولادة الأسطورة:

بعد موته، بدا أن كراولي سينسى تدريجيًا. لكن العكس هو ما حدث. خلال الستينيات والسبعينيات، عاد اسمه إلى السطح بقوة، خصوصًا مع صعود ثقافة الهيبيز وحركات التحرر الجنسي. موسيقيون مثل فرقة *The Beatles* و*Led Zeppelin* وضعوا صورته وشعاراته على أغلفة ألبوماتهم. شباب

يبحثون عن الحرية وجدوا في شعاره "افعل ما تشاء" بيانًا ثوريًا يناسب عصرهم.

وهكذا، تحوّل من "ساحر منبوذ" إلى "أيقونة مضادة للثقافة". كتبه أعيد نشرها، وأفكاره انتشرت في دوائر جديدة: من السحر الجديد (Age New) إلى حركات الباطنية المعاصرة.

المفارقة الكبرى:

المفارقة أن كراولي الذي مات فقيرًا منسيًا، أصبح بعد موته أكثر تأثيرًا مما كان حيًا. لقد عاش حياة مليئة بالفشل العملي: دير ثيليما انهار، جمعياته تفرقت، أصدقاؤه ابتعدوا، صحته دُمرت. لكن على مستوى الرموز، كان انتصاره ساحقًا. فقد زرع أفكاره في وعي القرن العشرين، حتى دون أن يدري.

إنه مثال على أن بعض الأشخاص يعيشون فشلًا فرديًا، لكنهم يتركون أثرًا جماعيًا لا يُمحى. مات كراولي كإنسان ضعيف، لكنه وُلد كأسطورة: أسطورة الوحش 666، النبي الأسود لعصر حورس.

الدرس الأخير:

في النهاية، لم يكن كراولي مجرد ساحر أو شاعر أو مهووس بالمخدرات. كان شخصية مركبة تعكس تناقضات الإنسان الحديث: بين الرغبة في الحرية المطلقة والحاجة إلى نظام، بين السمو الروحي والانحطاط الجسدي، بين النبوءة والفضيحة. موته لم ينهِ هذه التناقضات، بل جعلها أكثر جاذبية.

هاستينغز لم تكن قبرًا فقط، بل بوابة. من هناك، خرج الوحش من جسد رجل عجوز، ليولد في المخيلة الجماعية كرمز دائم للتمرد. كراولي لم يعد مجرد شخص، بل أصبح فكرة – فكرة أن الحرية المطلقة ممكنة، حتى لو كان ثمنها الفوضى والجنون.

خاتمة:

كراولي بين الأسطورة والمرآة:

حين نطوي صفحات هذه السيرة، وننظر إلى حياة أليستر كراولي – الطفل المتمرّد، الشاعر المهووس، المتسلق الذي لمس السماء، والساحر الذي ادعى النبوة، وأيضاً المدمن الذي مات في عزلة – نكتشف أننا لا نقرأ فقط قصة رجل عاش في الغرب قبل قرن، بل نقرأ قصة الإنسان حين يندفع إلى أقصى الحدود بحثًا عن المستحيل.

لقد جسّد كراولي التناقض الإنساني بين القداسة والتدنيس، بين الشهوة والروحانية، بين العقل والجنون. حياته كلها كانت سؤالًا فلسفيًا غامضاً مطروحًا بجسده وروحه: هل يملك الإنسان أن يعيش خارج كل ناموس؟ وهل الحرية المطلقة خلاص أم لعنة؟

بالنسبة للقارئ العربي، ليست قيمة هذه السيرة في شخص كراولي أو تبني أفكاره، بل في النظر إلى التجربة كمرآة. ففي عالمنا، حيث الصراع لا يزال قائمًا بين التراث والحداثة، بين السلطة الفردية والجماعية، بين المقدس والدنيوي، يقدم كراولي مثالًا على إنسان قرر أن يعيش التناقض حتى نهايته، وأن يدفع الثمن بتهور مهما كان.

إن الغموض ليس ضعفًا، بل أحيانًا هو الطريق لاختبار حدود العقل. وأن الحرية ليست مجرد شعار، بل تجربة قد تحرق صاحبها إذا لم يعرف كيف يوازنها بالحكمة. وأيضًا أن الأسطورة ليست ما نختاره لأنفسنا، بل ما يخلقه الآخرون حولنا حين نصبح مرآة لمخاوفهم ورغباتهم.

كراولي رحل، لكن ظله باقٍ.

باقٍ لأنه لم يكن مجرد رجل، بل سؤال مفتوح: كيف يعيش الإنسان حين يقرر أن يكون نبيّ نفسه، وأن يخلق دينه الخاص، وأن يواجه المجتمع بكل جرأة وجموح؟

والإجابة ليست في تمجيده ولا في لعنته، بل في التأمل في مغامرته، وفي قراءة أنفسنا من خلالها.

ربما لهذا السبب بالذات، تُكتب هذه السيرة للقارئ العربي: لنضع أمامنا مثالًا صاخبًا على أن الحرية بلا حدود قد تكون قدرًا ساحرًا ومرعبًا في آن. ولعل الدرس الأخير أن نجرؤ على التفكير خارج القوالب، لكن دون أن ننسى أن كل حرية تحتاج إلى مسؤولية، وكل تمرد يحتاج إلى بصيرة.

القاهرة في 3 سبتمبر 2025